الإسلام وصراع الحضارات في القرن الخامس عشر

قراءة نقدية لأفكار هنتنغتون

الأستاذ محمد بلبشير
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة تلمسان

غير خاف على كل متأمل للواقع الدولي المعقد، وللأحداث العالمية المريبة، وما يعرض للأمة الإسلامية ــ و هي بسبيل تطلعها إلى استرداد عافيتها الحضارية و تكاملها ــ من تحديات و مخاطر وعداء، و معاناة داخلية و خارجية.

ولعل الرئيس الأمريكي السابق ريتشارد نيكسون، كان الصوت العالي الذي دعى للاستعداد للمواجهة مع المسلمين، حيث قال " ينبغي أن يستعد الغرب لمواجهة حاسمة مع الشرق الإسلامي، فالعالم الإسلامي يشكل واحدا من أعظم التحديات السياسية الخارجية للولايات المتحدة في القرن الحادي والعشرين"(1)

ومن هنا يتضح أن الحضارة الإسلامية قوة مرشحة لتواجه حضارة الغرب فيما يعرف بصراع الحضارات.

وفي ظل هذا، طرح صمويل هنتنغتون [2] في صراع الحضارات تطورا جديدا للقرن الخامس عشر، و أثار نقاشات و تساؤلات و انتقادات، واعترف بتنويع الحضارات الحضارات بصفة مشبوهة، كما اعتبر أن هذه الحضارات ستصطدم يوما ما.

والعالم اليوم يعيش في قرن جديد و في وضع مضطرب، فماذا بامكان العالم الإسلامي أن يفعل؟ و ماذا يتوجب على الغرب أن يقوم به؟

لو تفحصنا بما يعنيه بعض المفردات التي لها علاقة ببحثنا هذا و التي استعملها هنتنغتون في مؤلفه (صراع الحضارات) لأمكنا أن نمهد الطريق في استقراء العقل المهيمن عالميا.

فكلمة (CLASH) صدام تعني بالدقة (يتضارب، يتنافر، يشتبك، يصطدم، يتعارض، اشتباكا مسلحا صليلا، قعقعة) [3] ،و القصد في استعمال كلمة

صدام، أن يحق للحضارة الغربية أن تقوم بما يمكنها من القيام به اتجاه أية حضارة أخرى تراها تكون تهديدا عليها.

فالقتل و التدمير و ...مسالك يمكن للحارة الغربية ان توظفها لخدمة أهدافها، كما أنها أجازت لنفسها في حالة صدامها و تناقرها مع الآخرين بسلوك ما تراه مفيدا...لأن الصدام بعقلية الغرب، لا توقفه موانع او مقدسات او قوانين، بل تسيره عقلية نفعية همها الأول أن تكون الأولى من دون البقية من الآخرين.

أما مفهوم الصراع (STRUGGLE) الذي تجري استعمالاته موافقة مع مفهوم الصدام من منظري الاستراتيجيات الكونية، فهو اقل استفزازا و تهييجا مما يرادفه فهو يأتي تحديدا على شكل (كفاح، نضال، يكافح، يناضل، يقاوم، يجاهد،...) [4]، و هذه المعاني اقل ضررا و عدوانية من الصدام، لأن الصراع تدخل تحته أشكال متعددة من الحوارات سواء أكانت سياسية أم ثقافية أم اقتصادية أم عسكرية للوصول الى الاتفاق. كما أن الصراع سنة ماضية في الكون، والصراع بين الحضارات إنما هو في جوهره صراع بين معتقدات لا بين طبقات و لا عرقيات، فقد ينتمون إلى طبقة أو عرق واحد لكن يختلفون في المعتقد فيكون بينهم الصراع.

أولا : ما معنى الحضارة ؟

لا شك أن المصطلحات الرائجة في هذا الحقل مثل المدنية والثقافة، والحضارة غير محددة وللحضارة وحدها تعاريف كثيرة جدا...فهي كما يراها مالك بن نبي تعتمد على منهجين: احدهما تحليلي تركيبي و الثاني وظيفي.

فالمنهج التحليلي التركيبي، يسوق مثال المصباح الذي نستنير به، ويتساءل متى يصح تسمية هذا المصباح بالإنتاج الحضاري؟ والحقيقة، كما يضيف، لا يمكن وصفه بذلك إلا إذا كان هذا المصباح،

والأفكار التي صاحبت إنجازه، و الادميون الذين قاموا بعملية الإنجاز، يمثلون جميعا منتجات اجتماعية لحضارة معينة.

أما التعريف الوظيفي للحضارة فهي كونها: " مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل عضو من أعضائه، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة، الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه " [5]، في حين يراها هنتنغتون " أنها كيان ثقافي يتحدد

بعناصر موضوعية مثل اللغة والتاريخ والعادات وعناصر ذاتية تتركز على التماهي الذاتي للناس" [6].

ويرى هنتينغتون ان الهوية الثقافية تكتسب المزيد من الأهمية، كما أن شعور الانتماء الى حضارة معينة سوف يكون له شان متزايد في المستقبل و يحدد الحضارات الكبيرة بسبعة هي، الحضارات : الغربية، و الكونفوشيسية، و اليابانية، و الإسلامية، و الهندية، و السلافية الأرثوذوكسية، و الأمريكية اللا تينية، و ربما تكون الثامنة الأفريقية و يضيف قائلا : " إن خطوط النزاع الرئيسية ستكون على امتداد خطوط التقسيم الثقافية، التي تفصل هذه الحضارات عن بعضها البعض." [7]

ثانيا: أسباب صدام الحضارات:

يستند هنتينغتون في أفكاره إلى فرضية تقول: إن المصدر الرئيس للصراعات القادمة بين الحضارات سيكون ثقافيا ومع أن الدولة القومية ستستمر في القيام بدور أساسي في الشؤون العالمية فإن الصراعات المهمة في السياسة الدولية ستكون بين الدول و الجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة. وستقوم الحضارات بتكوين علاقات التماسك أو التفكك و الصراع في عالم ما بعد الحرب الباردة، وتأسيسا على ذلك فإن الصراعات السياسية المحلية التي ستبرز ستكون هي الصراعات العرقية و الأثنية، في حين سيكون الصراع المقبل على المستوى العالمي، صراع الحضارات، كما أن القضايا الجوهرية على الساحة الدولية سترتبط بشكل مباشر بالاختلاف بين الحضارات.[8]

ويرى أن الفروق بين هذه الحضارات هي فروق أساسية تتلخص في التاريخ واللغة الثقافية، والأهم الدين، فالدين مركزي في العالم الحديث، وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس،وتشحذهم ، وهذه الفروق الثقافية ليست قابلة للتبديل أو الحلول الوسط، ومع تحديد العلاقات المختلطة بمقياس ديني أو إثني فستنشأ تحالفات في صورة متزايدة تستغل الدين المشترك والهوية الحضارية المشتركة، وبناء على ذلك سيحدث صدام بين الحضارات.[9]

ـ يلاحظ هنتينغتون أن الغرب يزعم أنه في أوج قوته – فهو يواجه حضارات ليست غربية، ترغب في تشكيل العالم بطرائق ليست غربية، ولا تنقصها الإرادة ولا الإمكانيات لتحقيق هذا.[10]

ـ إن النزعة الإقليمية الاقتصادية ستدعم الوعي الحضاري، كما للثقافة المشتركة أثر فعال في نمو هذه النزعة، على غرار ما يحدث بين الصين الشعبية وهونكونغ و تايوان و سانغفورة ،إذ أخذت الجماعات تتجاوز خلافاتها الإديولوجية وهذا بفضل ثقافتها المشتركة.[11]

ـ إن الخطوط الفاصلة بين الحضارات سوف تكون هي خطوط المعارك، وتتمثل في التنافس العسكري و الاقتصادي و مدى السيطرة على المؤسسات الدولية إضافة إلى ترويج القيم السياسية والدينية الخاصة.[12]

ـ و يرى هنتينغون أن الصراع الرئيس سيكون بين حضارة الغرب و نوع من التحالف بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية[13] بقوتها الصناعية والعسكرية، والحضارة الإسلامية باحتياطياتها النفطية وقربها الجغرافي من الغرب،ومن هذا المنظور فإن الصراع بين الإسلام والغرب مستمر منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، غير أنه يشير إلى توقع استمرار هذا الصراع إلى زمن طويل مقبل، أما الصراع بين الغرب و الحضارة الكونفوشيوسية فهو صراع قصير.

و بناء على ذلك فإنه يخاطب الساسة الغربيين محذرا بقوله: " على الغرب أن يحد من توسيع القوة العسكرية لحضارات معادية محتملة، خصوصا الكونفوشيوسية والإسلام" و يوضح أن مصطلح الحد من الأسلحة ينطلق من المركزية الغربية في المفاهيم والأهداف، ويهدف حقيقة الى منع استحداث المجتمعات غير الغربية لقدرات عسكرية قد تهدد مصالح الغرب " فالغرب يحاول تحقيق هذا الهدف عبر أربعة أشكال: الإتفاقات الدولية، و الضغط الاقتصادي، وقيود التسلح و الرقابة على نقل تكنولوجيا السلاح".[14]

ثالثا: أهمية الدين بين عناصر الحضارات:

يرى مالك بن نبي أننا حينما نتأمل القرآن الكريم " يبدو الدين كونية تحكم فكر الإنسان وحضارته، كما تحكم الجاذبية المادة، و تتحكم في تطورها. و الدين على هذا يبدوا و كأنه مطبوع في النظام الكوني، قانونا خاصا بالفكر، الذي يطوف في مدارات مختلفة، من الإسلام الموحد إلى أحط الوثنيات البدائية [15].

ويذكر هنتينغون أن أركان الحضارة المشتركة التي تربط بين الجماعات هي: اللغة والدين والتاريخ و العادات، و كل هذه مجتمعة في الدول العربية، ثم إن الدين وهو أقوى الأركان يربط الدول العربية بالدول الإسلامية برباط قوي، وبخاصة أن

الإسلام خلق تشريعات مشتركة و قيما وأخلاقا لكل المسلمين، و هذه العلاقات بين المسلمين بعضهم البعض أقوى من الأيديولوجيات والسياسة، واللغة العربية لغة القرآن واسعة الانتشار في البلاد الإسلامية بعضها ببعض[16].

وبهذا فهو يركز على أهمية الدين الإسلامي في توحيد شعوب الحضارة الإسلامية؛ كما أننا نجده يشد على أن الدين الإسلامي هو أشد خصوم الحضارة الأرثوذكسية، ويوصي بروسيا (الاتحاد السوفياتي سابقا) في أن تكون حليفا طبيعيا للغرب في مواجهة التحالف الرئيس بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية، وهذا ما جعل الرئيس السوفياتي الأسبق ميخائيل غورباتشوف حين خاطب الأمركين يقول: " نحن نقوم بأمر مروع لكم، فنحن نحرمكم عدوا"[17].

يرى هنتنغوت أن أشكال التحدي الإسلامي للحضارة الغربية تتمثل مظاهرها في إقبال الغربيين على اعتناق الإسلام بكثافة تلقائية مما يغذي قاعدة الإيمان بالعناصر البشرية ، خصوصا إذا أخذنا في الاعتبار أن الإحصاءات الأخيرة قد أثبتت أن مجموع أعداد المسلمين في أوروبا وأمريكا تنيف عن العشرين مليونا، ستة منها تتحرك داخل أمريكا، و تأتي بعدها فرنسا التي يوجديها ما يناهز الخمسة ملايين أي نسبة 22/1 من سكان فرنسا حسب إحصاءات عام 1999م ، و نذكر بهذا العدد أن الفاتيكان كان نشر عام 1985م إحصاءات بين فيها للمرة الأولى في تاريخها أن عدد المسلمين فاق عدد الكاثوليك. وحسب هذه الإحصاءات فإن عدد الكاثوليك وقتئذ كان قد بلغ 850 مليون نسمة مقابل 865 مليون نسمة عدد المسلمين[18].

ولذلك فإن هنتنغون يرى أن خطورة الإسلام تكمن في التوسع الخارجي للمجتمعات الإسلامية أو على شكل الهجرة إلى أوروبا و أمريكا 19 مما ينبغي اتساع الرقعة الجغرافية للإسلام

ويصف صامونيل هنتنغون العلاقة العدائية بين الإسلام و الغرب بأنها حالة شبه حرب بسبب عدم خضوع بعض الدول و المنظمات لمبدأ الهيمنة الأمريكية الذي تريد تطبيقه على العالم وفق القياس الامريكي، مما أوجد أساليب جديدة في مقاومة مثل هذه النزاعات يصل بعضها إلى العنف كالعراق... او إلى المقاطعة الاقتصادية كليبيا سابقا[20].

ويوضح هنتينغتون عداءه للإسلام بالقول إنه متصادم و معاد اتجاه الحضارات الأخرى، و يؤرخ لتاريخ النزاع بين الإسلام و الغرب عبر ثلاثة عشر قرنا والامتدادات المتبادلة بينهما وما تحفل به من جراح عميقة.

ثم يستعرض في خطوط النزاع القائمة على طول حدود العالم الإسلامي من الغرب، ويستعمل تعبير " حدود الإسلام الدموية" مما يوحي بأن المسلمين هم الطرف العدواني على الآخرين، لأن اتجاهات العنف عند المسلمين يمكن تلمسها من أن الإسلام كان منذ البداية (دين سيف)، كما إنه يعظم القيم العسكرية من خلال التركيز على فكرة الجهاد من أجل الدين[21].

هذه أهم أفكار صدام الحضارات ،التي أجملها هنتيغتون في دراسة الفكر السياسي الغربي وقد مر عليها عشر سنوات، وعزها الكثير من الإثباتات والبراهين، لكن واقع المسرح السياسي الدولي في ظل انفراد الهيمنة الأمريكية على الساحة العالمية، ـــ ما يمكن أن نسميه بالأمركة أو العولمة ـــ ، يكاد يجعل من هذه الأفكار قانونا اجتماعيا غربيا مطلوب تطبيقه، في إدارة الصراعات الدولية والحلول المقترحة لها وفق القياس الأمريكي، وبالتالي فإن نظرية هنتيغتون هذه أحد المخارج التي توصلت إليها النخب الحاكمة في الولايات المتحدة للحفاظ على مكاسبها الناجمة عن استمرارية موازنات الحرب في الارتفاع، وعن تنازل المجتمعات الغربية عن جزء منهم من حقوقها في التقدم مقابل الحصول على قدر أكبر من الأمان لتجاه الأعداء المفترضين.

ـــ يحاول هنتيغتون خلق عدو خارجي للولايات المتحدة، ووصفه أنه عدو قوي، و لابد للغرب بأن يعد العدة لحرب قادمة. ويغشى أن تتوالى الولايات المتحدة الاستعداد لهذا العدو.

ـــ في تصنيفه للحضارات التي يمكن أن تتصارع فيما بينها فرق بين مفاهيم ثلاثة متداخلة، الحضارة الغربية، وحضارة أمريكا اللاتينية، والحضارة السلافية الأرثوذكسية، في حين أنه انطلق إزاء تقويمه للحضارات من أساس ديني، غير أنه تناسى أن هذه الحضارات تنتمي إلى أصل حضاري واحد هو المسيحية كدين وثقافة.

ـــ إن فرضية هنتيغتون في صدام الحضارات تخفي داخلها أمورا منها:

ـ رفضه فصل الثقافة على الحضارة. و اعتبار أن الثقافة هي الفكرة العامة في كل تعريف للحضارة، ما انعكس بدوره على مفهومه عن الحضارة وربطه بالدين، و هذا خلل واضح إذ أن استخدام مفهوم الحضارة، و الدين بوصفه المؤشر الأساسي للتمييز بين أطراف الصراعات الرئيسية في واقعنا اليوم لا يساعد فيهما لهذه الصراعات.

أما استعماله مصطلح الحضارة الغربية فإن هذا المصطلح لم يظهر إلاّ في القرن العشرين،و هو مصطلح يتضمن إدراك أن هذه الحضارة على عكس من الحضارات على عكس غيرها من الحضارات لا تضعه الدين في مكانه مركزية، كما أنه يركز بعنف على أن الحضارة الغربية هي بيئة العقيدة الأمريكية [22] و في ذلك عدوانية و مصادرة للآخرين و ادعاء بطولي في غير محله.

- أظهر أفكاره العدائية بطرح الموضوع على أنه صدام أو صراع ونسى محاولات غرس التسامح بين الشعوب، الذي تنادي به جميع الأديان السماوية و خاصة الدين الإسلامي.
- حذر هنتيغتون الغرب مما أسماه تحالف بين الحضارتين الإسلامية والكونفوشيوسية، بيد أن هذا الارتباط بين الحضارتين لا أساس له فالحدود فيما بينهما تمثل إحدى أكبر بؤر الصاع الحضاري.
- نجد هنتيغتون يرتب أولويات دافعية الصراع الحضاري في القوة العسكرية و السياسية و اختلاف الثقافة. غير أن النظرية في عمومها تتمحور حول الدين كعنصر سببي فريد لا مجال لمقارنته بأي دوافع أو مقومات اقتصادية أو أساسية أو غيرها، يمكن أن تتسبب بسببها حرب أو يحتدم صراع بين الحضارات على اختلافها.
- نظرة هنتيغتون إلى الإسلام نظرة عدوانية فالإسلام حسب رأيه يناقض القيم الحضارية الأخرى فهو بعد الإسلام حضارة كالحضارات الغربية و ليست دينا سماويا، كما أنه لا يناسب القيم الديمقراطية وعدوانيا بطبعه لأنه انتشر بحد السيف.

إذا رجعنا إلى تاريخ الغرب في علاقته بالحضارات التي استمد منها حضارته بواسطة الغزو منذ القرن السادس عشر ميلادي ، حيث حرص " هرمان كورتز" على أن يبيد ثقافة " الأزتك"

و ثقافة " المايا" بحجة إدخال المسيحية، ولكن ما بقي من معابد " بالنك" أو " شيشن إيتزا" يعلن أن من شادوا هذه المعابد كانوا قادرين على تقديم الكثير من المظاهر الحضارية لو لم يواجهوا من الغرب بسطوة الغازي المغتصب، فقد سبقت هذه الشعوب إلى إيجاد زراعة متقدمة، و عرفت كثيرا من الأعشاب الطبية،... وكان لهم من ناحية أخرى تقويم أدق من تقويم أوروبا في ذلك العصر. فلما غزاهم الإسبان و البرتغال بأسلحتهم أبادوا هذه الحضارات، بدلا من التحاور معها والإفادة منها ، فكانت تلك الفرصة الأولى التي فقدتها أوروبا في مواجهة الحضارات.

وكانت الفرصة الثانية التي فقدها الغرب... أن المستعمرين الفرنسيين والإنجليز والأسبان عملوا على تشويه ما قدمه العرب المسلمون من إسهامات حضارية فوصفوا ما قدموه للاسبان من شتى ألوان الحضارة، بأنه غزو عسكري، مغفلين ما قدموه للاسبان من تحرير، حيث أنقذو الأفنان من وصاية ملوك "الفيزيغوط" و ما أقاموه في إسبانيا من أجمل منشآت الري التي عرفها العصر، وما نهله الإسبان الأوروبيون جميعا على أيدي العرب المسلمين من علوم في شتى المجالات.

فالمسلمون ما دخلوا أوروبا غزاة، و لكنهم دخلوها معلمين، ناشرين تلك الحضارة الإنسانية الشاملة، التي حظيت بقبول الجماهير التي كانت ترزح تحت وطأة نظام الرق[23] .

إن الشكل العدواني الذي رآه هنتنغتون في الإسلام يدحضه التاريخ، فمن الذي جيش جيوش الحروب الصليبية و قاد حملاتها ضد بلاد المسلمين؟ ومن الذي مورس ضده الاستكمار والإستعمار؟ العالم الإسلامي أم العالم الغربي ؟ و من يقتل الأبرياء في فلسطين و في العراق و في الشيشان..؟ و من؟ و من؟....

فتاريخ الغرب تاريخ عنصري مليء بالاضطهاد، بل ومحاولات التطوير العرقي والديني للأقليات العرقية و الدينية ،و الذي وقع في بعض البلدان الأوروبية كإسبانيا ، عندما شنت الكنيسة حرب الابادة ضد المسلمين و اليهود في هذه البلاد، و كما حدث لمسلمي البوسنة و الهرسك في عصرنا الحالي؛ إن تعصب الغرب ضد الأقليات هو الذي حكم و يحكم موقفها ضد الأديان وأهلها حتى اليوم.

هذا بعكس الإسلام الذي حافظ على الأقليات في بلاده و أعطى الجميع الحرية الدينية ومن ثم استطاع ان يقدم وثيقة رائدة تنظم حياة المجتمع المتعدد الجنسيات و الأديان " **لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي..**" البقرة "

و التصور الإسلامي لا يكرس الصراع كقانون تاريخي مطلق كما يقول هنتيغتون، و لكن الصراع في التصور الإسلامي بمعنى التدافع ليس إلا سنة واحدة من سنن الاجتماع البشري إلى جانب سنن الله الكونية الأخرى، يقول تعالى " **و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض و لكن الله دو فضل على العالمين**" البقرة 251.

كما أنه له منطقه المختلف عن مفاهيم الصراع الأخرى، و لذا فإن الجهاد في معناه الواسع[24] ليس صراعا مع الآخر للقضاء عليه، و لكن أداة لحماية الدعوة و نشرها بين الآخر، و من ثم فهو أحد أدواته حيث أداة التعاون السلمي تظهر إلى جانبه، و لكل من الأداتين ضوابطهما و شروطهما و ليست أحداهما بديلة مطلقة للأخرى.

كما نجد هنتيغتون يخلط متعمدا بين الإسلام كدين وبين ظاهرة ما أسماه "الأصولية الإسلامية" ففهم الأصولية على أنها وسيلة إرهاب فهم خاطىء [25] ، فالمسلم صحيح الإيمان إنسان أصولي يتبع أصول الدين و أخلاقياته و قيمه، و هو بعيد كل البعد عن الإرهاب و العدوانية، و متمسك بالتسامح الإسلامي كما أثر عن الرسول صلى الله عليه و سلم.

هذا غير أن الدين الإسلامي إنساني النزعة يجد تآلفا له و لفكره حينما يتلاقح مع الأفكار الأخرى بطريقة الأخذ و العطاء بما يخدم الإنسانية، و لهذا السبب لم نلاحظ في التاريخ الإسلامي محاكم للتفتيش، بل التاريخ يشهد و أحاديث الرسول عليه الصلاة و السلام على تعامل المسلمين حتى مع أسرى الحرب.

إن زيادة عدد المسلمين في بلاد الغرب أصبح يخوف الغرب! غير أن هذا التخوف لا يشكل في حقيقة الأمر أي تهديد على البلاد الغربية، فالمسلمون في هذه البلاد أناس بسطاء مسالمون، يمارسون شعائر عباداتهم و تعاليم دينهم بشكل عادي و طبيعي، بل هم المعتدى عليهم، وما قضية الحجاب في فرنسا خير دليل على ذلك، ومحاربة و ممارسة سنة ذبح أضحية العيد بحجة المحافظة على الحيوانات.. و غيرها كثير.

ذو يرى مراد هوفمان[26] أن من أبرز أسباب عداء الغرب للإسلام، هو إدراكهم أن الحضارة الغربية بحاجة إلى دين يصنع لها حدودا حتى لا تنقلب إلى فوضى، ولا يوجد من يتصدى لتلك المهمة، غير الإسلام، فهو دين الحضارة الذي يحدث توازنا في جميع أنشطة الحياة، هذا عدا كونه علاجا حاسما لحالة التغريب والانخلاع التي يعيشها المجتمع الغربي [27] . و لذلك فلا غرابة حينما نجد هنتيغتون يقول: " إن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب، موضع شك"[28].

فالغرب و إعلامه يحرضان على التخويف من أسس الإسلام و مبادئه وقيمه، زعما بأنها تفكير يؤدي إلى الغنى و التطرف و الرجعية، و نسي هنتيغتون و غيره صور الإرهاب في أمريكا و فرنسا... و... و... غير أننا نجد من أبناء الغرب من يحذر بين مظاهر العنف في العالم الإسلامي و بين الإسلام و قيمه و مبادئه، مثل الأمير تشارلز– ولي عهد بريطانيا – حيث يقول " إن التطرف ليس حكرا على الإسلام، بل ينسحب على الديانات أخرى بما في ذلك المسيحية، و الغالبية العظمى من المسلمين يتسمون بالاعتدال، والنبي محمد كان يمقت التطرف ويحارب التعصب، و من الخطأ الجسيم أن نحكم على المسلمين بالإرهاب لبعض الحوادث التي تتصل بهم ، فذلك مثل الحكم على نوعية الحياة في بريطانيا من خلال وجود جرائم القتل والاغتصاب و الاعتداء على الأطفال و ادمان المخدرات[29] .

فهذه الشهادات ومثلها ستساعد كثيرا في تصحيح الصورة النمطية المتوارثة عن الإسلام في الغرب، و ستقترب وجهات النظر في القضايا الخلافية لخدمة الإنسانية و سعادتها، و عيشها في حوار و تعايش سلميين، لاصدام و صراع كما يدعو إليه هنتيغتون، فنمط العلاقة بين الحضارات في المفهوم الإسلامي هو تعارف و حوار الحضارات لا صراع وصدام يقول الله تعالى " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**".(سورة الحجرات)

خامسا: ملامح الحضارة الإسلامية:

إن أهم ملامح الحضارة الإسلامية في عصر تعدد الحضارات تتمحور في أربعة عناصر أساسية متعاونة إيجابا، وبها وعليها قامت حضارة الإسلام الربانية، الإخاء الإنساني، الشمول، المنهجية العلمية.

فالربانية صلة بين الإنسان و ربه.

والإخاء صلة بين الإنسان و أخيه الإنسان .

والشمول صلة بين الإنسان و الكون .

والمنهجية العلمية بمفهومها الإسلامي الذي يجمع بين الوحي والعقل، طريقة للتعامل بنورين من الوحي والعقل، مع الكون والإنسان .

فبهذه الملامح تقدم حضارتنا الإسلامية إلى حضارة الغرب والحضارات الأخرى، نقدمها بإبداعاتها و قيمها، نقدم رؤيتها لقضايا العالم، من حقوق الإنسان، وسلام و ديمقراطية وأخلاقيات في التعامل و المحبة و التعاون....

لكن لا بد قبل تقديم من معرفة جوانب قوة ومكامن ضعف هذه الحضارة، واكتشاف قدراتها الحقيقية و إمكاناتها الروحية و الفكرية و البشرية و المادية، وإدراك صورة هذه الذات عند الحضارات الأخرى، و لابد بعد ذلك من تقديم فهم عقلي لعالمنا المعاصر، كما يتطلب تقديم الإجابة الواضحة عما يسميه هنتيغتون تهديد الحضارة الإسلامية للحضارة الغربية.

غير أننا إذا نظرنا إلى أفكار هنتيغتون نظرة إيجابية لمستقبل الإسلام ربما نجده متفائلا أكثر من المسلمين و أكثر منه " باول شمتر" حيث يقول " لا يساورني شك في أن الحضارة التي ترتبط أجزاؤها برباط متين، و تتماسك أطرافها تماسكا قويا، و تحمل في طياتها عقيدة مثل الإسلام، سيكون لها النصر في النهاية.. و إذا كان المسلمون قد تخلفوا في التكنولوجيا فإنهم يستطيعون تدارك ذلك، و لكن في مقابل هذا سيكون من الصعب علينا استعادة أو إحياء التعاليم الروحية، تلك التي فقدتها المسيحية، و لكن الإسلام حافظ عليها"[30].

و في هذا الصدد نجد مالك بن نبي ينظر إلى مستقبل العالم الإسلامي نظرة تفاؤلية، فهو لم يفقد الأمل في إنسان ما بعد الموحدين رغم الصفات السلبية التي وصفه بها ..و التي تطابق المسلمين اليوم.. و لذلك نجده يقرر بقوله " الواقع أنه على الرغم من قابليته للاستعمار قد احتفظ بمعنى جوهري هو : معنى القيمة الخلقية ،و هو ما ينقص الفكر الحديث الشامخ".[31]

إذن فإنسان ما بعد الموحدين ــ إلى يومنا ــ هذا مازال يحتفظ بالورقة الرابحة ورقة القيمة الخلقية الدينية الروحية، التي هي شرط أساس لكل إقلاع حضاري و يبقى البناء أو إعادة البناء دائما في وسعه إذا ما تمثل قوله تعالى: " **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**" (الرعد 11)

وأختم بحثي هذا بخطاب قدمه الشاعر الكبير محمد إقبال رحمه الله إلى الأمة الإسلامية:

توحدت من قديم الظهير أمتكم ما بالها انقسمت في أرضها أمم قد خادعتكم من المستعمرين يد سم العقارب في أكمامها استطر كم أهدروا من شعوب آدميتها كم أيقضوا فتنا؟ كم أفسدوا و قطرا؟ توارت العرب الأحرار وحدتهم مدى عصور وأجيال و أزمان حتى إذا جاء الاستعمار قسمها إلى شعوب وأقوام وأوطان . اضرب خيامك في دنيا وجودك لا تقف بها عند رسم الدار و الدمن و ادفع بناقتك الميدان أسبق من ريح الصحاري و انقد وحدة الوطن يا أيها العربي انظر لعصرك في دنيا يفوز بها من أحكم النظر بالسلم بالعدل تبني ما تأمله إن شئت للأرض عمرانا فكن عمر.

الهوامش :

1- RICHARDNIXON: SEIZE THE MOMENT.New York 1986.pM39-54.
(انتهزوا الفرصة)

2- صامويل هنتيغتون: أستاذ في جامعة هارفارد الأمريكية، قسم العلوم السياسية- و مدير معهد (جون ولين) للدراسات الاستراتيجية.

طرح أفكاره عن صراع الحضارات في القرن الجديد على شكل مقال في مجلة الشؤون الخارجية FOREIGN AFFAIRS عام 1993، تحت عنوان "صدام الحضارات (THE CLASHOF CIVILIZATIONS)، ولقد أثارت تلك المقالة عاصفة من النقد و الجدل التي أبرزت نقاط الضعف فيها ، فعاد - هنتيغتون- إلى منقحا يطرح موسع لفكرته الأصلية في كتاب بالعنوان نفسه، و لكن بشيء من التوسع و التعقيد .

- أسندت له مسؤولية قسم التحليل و الاستشراف في مجلس الأمن القومي الأمريكي.

3- ينظر: قاموس أكسفورد الحديث، مطابع جامعة أكسفورد 1999، ص 128

4-قاموس أكسفورد الحديث، المرجع نفسه، ص:745

5-مالك بن نبي: آفاق جزائرية، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ص 46، 47

6- SAMUEL P. HUNTINGTON- THE CLASH OF CIVILIZATIONS AND THE REMAKING OF WORLD ORDER- NEW YORK Simon and Schuster 1966 p189.
صامويل هنتيغتون: صدام الحضارات، مركز الدراسات الاستراتيجية و البحوث بيروت لبنان ص 19

7- صامويل هنتيغتون، المرجع نفسه ص 19

8- المرجع نفسه ص 294

9و10 - المرجع نفسه ص: 21 وما بعدها.

11- جودت سعيد و عبد الواحد علواني : الإسلام و الغرب و الديموقراطية، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ط 1 ، 1996م /1417هـ ، ص 29

12- صامويل هنتيغتون، المرجع السابق ص :23.

13- الكونفوشيوسية: نسبة إلى كونفوشيوس 479/551 ق م، للتوسع عن الكونفوشيوسية يراجع: سعد الدين وهبة، نصف قرن في الصين، دار المعارف ،القاهرة ،مصر ،ط، 1980

14- مرجع نفسه، ص :38 .

15- مالك بن نبي : الظاهرة القرانية ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق ، سوريا 1984م ، ص: 300.

16- صامويل هنتيغتون ،المرجع السابق، ص: 306 و بعدها.

17- المرجع نفسه، ص: 198

18- ينظر: المهدي منجرة الحرب الحضارية الأولى مكتبة الرحاب- الجزائر، ص: 140

19-صامويل هنتيغتون: المرجع السابق، ص: 261

20-المرجع نفسه: ص: 282

21- المرجع نفسه: ص: 280

22- ينظر: نجيب غصبان: صدام الحضارات و إعادة صياغ النظام العالمي، مجلة المستقبل العربي، العدد 226، الشهر 12 / 1997 ص: 144

23- للتوسع ينظر أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ،مصر ط1 ،ج :8 ،ص: 35 ،36

24- للتوسع حول مفهوم الجهاد في الإسلام يراجع: محمد سعيد رمضان :الجهاد في الإسلام، دار الفكر، دمشق ، سوريا ،ط: 2 ، 2000 م .

25- للتوسع ينظر أحمد شلبي: العالم الإسلامي و أفاق القرن الواحد و العشرون، وزارة الثقافة المصرية، القاهرة ،مصر، ط :1، 1995، ص: 24

26- مراد هوفمان: مفكر إسلامي كان يعمل سفيرا لبلاده ألمانيا لدى كل من الجزائر و المغرب.

27- مراد هوفمان: الإسلام في الألفية الثالثة دياثة في صعود، تعريب: عادل المعلم و يس ابراهيد، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1، 2001م ص: 160

28-هنتيغتون: المرجع السابق ص 339

29- نقلا عن محجوب عمر: الإسلام و الغرب، دار الشروق، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1995 ص: 14 و ما بعدها .

30-باول شمتز : الإسلام قوة الغد العالمية ، ترجمة محمد شاهة ،مركز الحضارة العربية، القاهرة مصر 2001، ص: 19

31-مالك بن نبي : وجهة العالم الإسلامي، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا 1981، ص: 157 .

32 ــ محمد إقبال: ديوان محمد إقبال، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.